الحجاري وإسهاماته الثقافية: كتاب المسهب أنموذجا.

د. أحمد بوشريط*

مقدمة: لا يخامرنا الشّك أنّ التراث الثقافي الأندلسي ازدهر وتطوّر على عهد الخلافة الأموية، والذي توّج بظهور عدّة مؤلّفات في ميادين معرفية شتّى، واستمرّت عطاءات هؤلاء إلى ما بعد الخلافة، إذ شهدت بذلك العديد ممّا انتجه الفكر الأندلسي فازدانت بها الهديد من المكتبات الأندلسية آنذاك، إلاّ أن بعضه تعرّض للضياع، فأصبح أثرا بعد عين، ومنه من تعرّفنا عليه من خلال عناوينه فقط، والتي أفادتنا بها المصادر، إلاّ أنّ بعضا من هذا التراث بقيت نصوصه محفوظة في مضانها، الأمر الذي سيسمح لكلّ من يريد ولوج هذا الميدان أن يعيد الاعتبار لهذا الكنز الدفين- والذي بقي مدّة طويلة في دور المكتبات وظلمات الأرشيف- وذلك عن طريق جمعه للمحافظة على ما احتواه من معلومات شملت مختلف العلوم التي خاض فيها الأندلسيون، فمن أمثلة هذا التراث الثقافي والذي حُقَّ للأندلسيين أن يفتخروا به، كتاب "المسهب" لمؤلّفه الحجاري، فكان من حسن حظ الحجاري أنّ نصوص كتابه هذا أو بعضا منها بقيت محفوظة عند كلّ من المقري في "نفح الطيب"، وابن سعيد في كتابه "المُغْرِب"، فآن لنا في هذه الورقة أن نتعرّف- ولو بشكل مختصر- عن هذا الأثر الثقافي، والذي نأمل أن يتعهّده الباحثون بجمعه وتحقيقه.

التعريف بالمؤلف: هو أبو محمد عبد اللّه بن إبراهيم بن أبي إسحاق بن إبراهيم بَن وزَمَّر الصنهاجي[1] الحِجَاري[2] ولد بوادي الحِجَارَة[3] سنة **499هـ/1106م** على حد قول بالنثيا[4] في حين يذكر عمر فرّوخ أنه ولد نحو سنة **500هـ/1107م**[5]، ترجمه البغدادي ولم يذكر له سنة ميلاد بعينها، وتبعه في ذلك عمر رضا كحالة.[6]

كما اختلف مترجمو هذه الشّخصية في السّنة التي توفيت فيها، فهذا بالنثيا يذكر سنة **549هـ/1155م**[7] في حين يذكر عمر فروخ سنة **550هـ/1156م** أو بعد ذلك بقليل[8] بفارق

* - أستاذ محاضر ب في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة معسكر.

سنة واحدة عن سلفه، وأما محقق كتاب الإحاطة يوسف علي طويل، فقد وقف عند سنة 520هـ/1126م[9] في حين اختلف البغدادي مع هؤلاء حين ذكر سنة 584هـ/1188م[10] بفارق 34 سنة، وهذا لا يعقل، ونحا نفس المنحى رضا كحالة الذي نقل عن هذا الأخير[11].

هذه الاختلافات الواردة في سنتي ميلاده ووفاته قد يعود سببها إلى قلّة المصادر التي عنيت بالترجمة لهذه الشخصية الفذّة، وكذا لكثرة تنقلاته، وهذا ما يؤكدّه ابن الخطيب حين قال: بأنه كان رحّالا.[12] الأمر الذي لم يتح للمصادر التعريف بهذه الشخصية تعريفا مفصّلا تتعلق بالوسط الأسري الذي نشأ به، وكذا بالشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم ، وأهم تلامذته الذين استفادوا من علمه. فبخصوص النقطة الثانية، فقد أفادنا عمر فروخ بأن الحجاري قد جلس للإقراء في وفادته على بني سعيد بغرناطة، وهذا ما يفهم من كلامه حين قال: " انتقل مدة إلى غرناطة، فأقرأ فيها البلاغة.[13]

فأما سنة 520هـ/1126م التي أفادنا بها يوسف علي طويل، لا يمكن اعتمادها، إذ ليس من المعقول أن يعيش الحجاري عشرين سنة ويكون لديه كل هذا الوقت ليتنقل بين عدّة مدن ليستقي من علمائها ما يحتاجه في تآليفه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن له تأليف مثل كتاب "المسهب" وهو لازال في ريعان شبابه. كما يمكن استبعاد السنة التي اعتمدها البغدادي وهي سنة 584هـ/1188م، وربما كان يقصد بها سنة 548هـ/1153م وهي الأرجح، أي بفارق سنة واحدة عن بالنثيا، وسنتين عمّا أورده عمر فرّوخ.

لقد عالج عمر فروخ هذه القضية حين قال: "وقد اخترت أن أعتمد قول "نيكل" لتدقيقه في مثل هذه الأمور، ولأنه أكّد قوله بمقارنة وفاة الحجاري بوفاة ابن قزمان الأصغر،[14] ونيكل هو الثقة في بحوث ابن قزمان، وذكر الزركلي[15] مثل ذلك.[16]

أسرته: لقد وصف آل الحجاري على أنهم أسرة أدب وعلم، فعلى الرغم من أن عدد أفرادها المترجم لهم لا يتعدى الأربعة، إلا أنّ ذلك قد هيأ الجو المناسب للاهتمام بالعلم وتعاطيه، وبخاصة الأدب، فبتتبعنا لتلك العبارات المتناثرة هنا وهناك، فإن وضعيتها الاجتماعية قد فتحت لها الباب واسعا لأن يغرفوا من المعارف التي أتيحت لهم، وأول من سنفتتح بهم الكلام هو:

*أبو إسحاق إبراهيم بن وزمّر الصنهاجي: وهو جدّ الحجاري الحفيد والذي ذكره في كتابه المسهب، فقال: بأنه خدم المأمون بن ذي النون، وكان ممن "ولع بعلوم التواريخ والآداب."[17]

ومما خلّف من الشعر قوله في الوداع:

لَئِنْ كَرِهُوا يَومَ الوَداعِ فَإِنَني أَهِيمُ بِهِ وَجْدًا مِنْ أَجْلِ[18] عِنَاقِهِ
أُصَافِحُ مَنْ أَهْواهُ غَيْرَ مُسَاتِر وسِرُّ التَلاَقِي مُودع فِي فِرَاقِهِ

وقوله:

إلا إِنَّهَا وَاللَّهِ حَدى الكَبَائِر تعقُّون أَسْلاَفِي لَكُم بِالمآتِ
مِني كانَ مِنْكُم مَنْ يَجُودُ لِقَاصِد مَتَى كَانَ مِنْكُم مَنْ يهشُّ لِشَاعِرِ[19]

أبو محمد عبد اللّه بن إبراهيم: وهو عمّ الحجاري، كان هو كذلك من الأدباء، إلا أن المحنة التي أصابت بلده اضطرته لمغادرتها وهو لازال شابا، فقصد دانية[20] عند ملكها إقبال الدولة والذي مدحه بأشعاره.[21]

فمن آثاره كتاب: الحديقة في البديع: لقد وقع اختلاف بين المؤرخين حول نسبة هذا الكتاب لمؤلفه، فابن سعيد ينسبه مباشرة إلى أبي محمد هذا عمّ الحجاري حين ترجم له، فقال: "صاحب كتاب الحديقة في البديع"[22]، وفي موضع آخر عند استشهاده بشعر الحجاري، فقال في آخرها: "وقد أنشد هذه الأبيات عمّه في الحديقة"[23] .

ونحا المقري نحو ابن سعيد، ففي سياق حديثه عن كرم الأندلسيين يذكر ما مفاده: "وللحجاري المذكور* كتاب في البديع سمّاه الحديقة."[24]

وهناك من المؤرخين من ذهب عكس ذلك، فهذا ابن الخطيب ينسب الكتاب إلى الحجاري صاحب المسهب، وهذا ما يفهم من قوله حين رام التعريف بمؤلفاته: "وتواليف الحجاري بديعة منها: "الحديقة في البديع"[25] وذهب نفس المذهب حاجي خليفة إذ أكّد ذلك بقوله: "الحديقة في البديع، للحجاري... صاحب المسهب."[26]، وتبعه في ذلك البغدادي[27] ورضا كحالة الذي ينقل عن هذا الأخير.[28]

ومن المؤرخين الذين عنوا بالترجمة للحجاري والتي اعتبرت من التراجم التي أحاطت إحاطة كاملة بهذه الشخصية الفذّة، نذكر عمر فرّوخ وأنخل بالنثيا، لم يرد في ذكرهم لإنتاجه الثقافي مثل هذا التأليف، فهذا يدل على أن هذا المؤلف هو للعمّ وليس لابن الأخ، وقد يكون

لتشابه الاسم بين الحجاري وعمّه سببا في هذا الخلط، وعلى حد قول ابن الآبار: فالاشتباه في الأسماء وعدم المبالاة بضبط المواليد والوفيات كثيرا ما يوقع في الخطأ والزلل.[29]

مقتطفات شعرية من كتاب الحديقة: لقد احتوى كتابه هذا على استشهادات شعرية قد تخصّ أدباء الأندلس سواء الذين لقيهم أم لم يلقهم، ولكن المؤكد أنه حافظ على بعض آثار أسرته، سواء يتعلق بأشعاره وأشعار ابن أخيه صاحب المسهب، وإليك مستخرج مما توفر لدينا في المصادر القليلة التي أفادتنا بتراثه هذا.

فمما أنشده لنفسه، قصيدته الرائية: [من السريع]

وشَادِنٍ ينصف منْ نَفْسِهِ أَمَّنَنِي مِنْ سَطْوَةِ الدَّهْرِ
يَنَامُ لِلشُّرْبِ عَلَى جَنْبِهِ يَصْرِفُ الذَّنْبَ على خَمْرِه[30] [31]

كما أنشد لابن أخيه هذه الأبيات [من السريع]

ومَا زِلْتُ أَجْنِي مِنْكَ والدَّهْرُ مُمْحِل وَلاَ تَمْرٌ يُجْنَى ولاَ زَرْع يُحْصَدُ
ثِمَـــارُ أَيَـــادٍ دَانِيَـــاتٍ قُطُوفهَا لأَغْصَانِـــهَا ظِـــلٌّ عَلَى مُمَـــدَّدُ
يَـــرَى جَارِيـــا مَاء المَكَارِم تَحْتَه وأَطْيَار شكْرِي فَوْقَهُنَّ تُغَـــرِّدُ[32]

هذا بعض ما ورد في كتاب "الحديقة" الذي ينسب لعم الحجاري، إلا أن إنتاجه في هذا الميدان لم يتوقف عند هذا الحد، بل تذكر له المصادر بعضا منه ولا ندري إن كانت هذه القصائد- والتي سنقتصر فيها على نماذج منها- قد احتواه كتاب البديع هذا، فمن أمثلة ذلك قوله في وصف فرس: [من الوافر]

وَمُسْتَبق يَحَارُ الطَّرْفُ فِيهِ ويسلمُ في الكفَاحِ منَ الجمَاحِ
كَأَنَّ أَدِيمَهُ[33] لَيْل بَهِيم تحجَّل باليَسير مِنَ الصَبَاحِ
إذَا احْتَدَمَ التَّسَابُق صَارَ جرْمًا تَقَلَّبَ بَيْنَ أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ[34]

إبراهيم بن إبراهيم: وهو والد الحجاري الذي كان من أدباء مدينة الفرج بوادي الحجارة، وهو الذي صنّف للمأمون بن ذي النون[35] كتاب "مغنيطاس الأفكار، فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر والأخبار."[36]

خروج آل الحجاري من موطنهم: لقد اضطر الحجاري الخروج هو وأسرته من موطنهم الأصلي وادي الحجارة، فسكنوا أول أمرهم مدينة سرقسطة،[37] إلا أنهم اضطروا مرّة أخرى

لمغادرتها عندما استولى عليها الإسبان وسقطت بيد ألفونسو السادس سنة 514هـ/ 1119م[38] ويبدو أن وجهة آل الحجاري هذه المرّة كانت بلنسية[39] ولكن الحجاري لن يستقر مع بقية أسرته بهذه المدينة، بل فضّل الانتقال إلى مدينة شلب[40] وهذا ما يتأكد لنا من قول الحجاري نفسه عند وفوده على عبد الملك بن سعيد[41]والذي طلب مقابلته، فكتب إليه ما نصّه: "بباب القائد الأعلى... رجل وفد عليه من شلب..."[42]

وفي سنة 530هـ/1136م وفد على عبد الملك بن سعيد وكان حينها صاحب قلعة يحصب والتي تَسَمَّت فيما بعد باسم قلعة بني سعيد،[43] إلا أن محاولته الاتصال بهذا القائد اعترضتها بعض الصعوبات، لأن الحجاب حالوا بينه وبين هذا القائد بسبب زيّه البدوي الذي كان يرتديه، فلقي ازدراء من طرفهم، فسخروا منه فمدّ يده إلى دواة في حزامه وسحاءة[44] وكتب فيها [من الوافر]

عَلَيْكَ أَحَالَنِي الذِكْرُ الجَمِيلُ فَجِئْتُ ومنْ ثَنَائِكَ لِي دَلِيلُ[45]

وَوَدَعْت الحَبِيبَ بِغَيرِ صَبْر ولَمْ أَسْمَعْ لِمَا قَالَ العُذُولُ

إلى قوله:

ولَمْ أشْكُو الهَجِيرَ وَقَدْ دَعَانِي إلَى أَرْجَائِكَ الظلُّ الظلُولُ[46]

فلما رأى ابن سعيد مقدرته الأدبية وبلاغته، أفحم بذلك وسمح له بالدخول ومقابلته، فأكرمه وقرّبه، ونال عنده حظوة ومقاما كبيرين، وهذا ما يفهم من قول ابن الخطيب: "فأكرم نزله، وأحسن إليه..."[47].

لم يستقر به المقام بالقلعة عند بني سعيد سوى سنة واحدة، فأراد الخروج بالرغم من معارضة عبد الملك بن سعيد له الذي أكرم مثواه وبالغ في ذلك، فكان رد الحجاري: "النفس تواقة وما لي بغير التغرب طاقة."[48]

وفي ذلك يقول: [من الطويل]

يَقُولُونَ لِي مَاذَا الملاَلُ تَقُومُ فِي مَحلّ فَعِنْدَ الأُنْسِ تَذْهَبُ رَاحِلاً

فَقُلْتُ لَهُمْ مِثْلَ الحَمَامِ إِذَا شَذَا عَلَى غُصْنٍ أَمْسَى بِآخَرٍ نَازِلاً[49]

كانت روطة[50] نقطة تحوله، فحلّ عند أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود،[51] إلا أن الحظ هذه المرّة لن يحالفه، فوقع أسيرا إثر وقيعة البشكنش[52] والتي هزم فيها ابن هود وجيشه،

وكان الحجاري أحد مرافقيه، فاستقر بـــــ: بسْقَاية[53] وبقي بها مدّة يستشفع ابن هود بأشعاره ليفك أسره، ولكن لا حياة لمن تنادي، فخاطب عبد الملك بن سعيد بقصيدة مطلعها [من السريع]

أَصْبَحْت في بِسْقَايَةَ مُسْلِمًا إلَى الأَعَادِي لاَ أَرَى مُسْلِمًا

إلى أن يقول:

فَهَلِ كَرِيمٌ يرْتَجَى لِلأَسِيرِ يَفُكُّهُ، أكرَم بِه مُنْتَمَى[54]

لم يمض شهر من إنشاده هذه القصيدة حتى جدّ ابن سعيد في فدائه وفكّ أسره، واستقرّ بقلعة بني سعيد، فكان بذلك طليق آل سعيد.[55]

إضافة إلى المدن التي انتقل إليها الحجاري، هناك مدن أخرى زارها نذكر منها: باغه[56] من كورة إلبيرة[57]، ثم انتقل بعدها إلى لوشة[58] ولورقة[59]، وهذه الأخيرة يذكر الحجاري أنه مرّ بها[60] كما مرّ بكورة بلكونة[61].

مكانته العلمية: من خلال رصدنا لتلك المصادر التي ترجمت لهذه الشخصية الثقافية، يمكن لنا التعرّف على تلك المكانة التي ارتقت به إلى مصاف كبار مؤرخي ذلك العصر، وهذا ما نستشفه من خلال أقوال كل من ترجم له، فمن هؤلاء:

ابن الخطيب: قال في تحليته: "كان أبو محمّد هذا ماهرا، كاتبا شاعرا."[62]

ابن سعيد: أطنب على منزلته العلمية وعلى بلاغته في النظم والنثر، ومعرفته بالتصنيف، فقال: "وبما أصفه وقدرة اللّسان لا تنصفه" ولعلو منزلته في الأدب فقد وصفه بجاحظ المغرب.[63]

المقري: الذي قال في حقّه: أنه كان "حافظ الأندلس إمام الأدباء، ورئيس المؤلفين حسن الزمان، نادرة الإحسان."[64]

ما من شك أن مثل هذه التراجم تنمّ عن حقيقة تلك المنزلة العلمية التي وصل إليها الحجاري، والتي تبرز بما لا يدعو للشّك أنه خاض في ميادين معرفية شتّى، الأمر الذي ساعده كثيرا على الخوض في ميدان التأليف، وهذا ما نلمسه جليا في مضان المصادر التي ازدانت بما جادت به قريحة هذا العالم.

إسهاماته الثقافية: لعلّ أكبر أثر خلّفه لنا الحجاري في ميدان التأليف، هو:

كتاب المسهب: لا يخامرنا الشك أن هذا الأثر الذي جادت به قريحة الحجاري هو من تأليفه، إذ كل من ترجم له ينسبه إليه صراحة، وخير من يمثل ذلك ابن سعيد بقوله: "فيها[65] ألّف الحجاري كتاب االمسهب." وفي موضع آخر يقول: "صاحب المسهب"[66] وهذا الكلام ينسحب على ابن الخطيب الذي أكّد بدوره وبصريح العبارة أن الكتاب هو مؤلّفه، وكذا المقري الذي كانت له منه عدّة نقول.[67]

أما السؤال الذي يطرح نفسه بشدّة، هل اتفقت المصادر على نفس التّسمية؟

لقد اختلف العنوان من مؤرّخ لآخر، فهذا المقري يذكره مرتين تحت هذا العنوان: :المغرب في أخبار المغرب"[68]، ومرّة يذكره تحت هذا الاسم: "المسهب في غرائب المغرب"[69]، وفي موضع آخر تحت هذا العنوان: "المسهب في فضائل المغرب"[70]، في حين ذكره ابن سعيد مرّة تحت عنوان "المسهب في فضائل المغرب"[71]، وأخرى تحت اسم: "المسهب في غرائب المغرب"[72]، وتبعه في ذلك ابن الخطيب.[73]

ضبط اسم الكتاب: ومن نافلة القول أن نتعرض إلى ضبط تشكيل كلمة – مسهب- ففي هذا المقام يتبادر للأذهان هذا السؤال، هل يُكْتَب المسهب بضم الميم وفتح الهاء؟ أم بضم الميم وكسر الهاء؟ وهل يؤدي ذلك إلى اختلاف في المعنى؟

لقد نبّه المقري إلى ذلك، فكانت التفاتة طيبة من هذا المؤرخ، وفي ذلك يقول: " وعلى ذكر "المسهب" فقد كنت كثيرا ما استشكل هذه التّسمية، لما قال غير واحد."[74]، وقد أثيرت هذه الإشكالية عندما طرح المعتمد بن عبّاد سؤالا على الفقيه أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النّحوي الشَّنْتَمَرِي المشهور بالأعلم[75] فيما يتعلق بهذا الموضوع، فجاء طرح هذه القضية على هذا النّحو.

المُسْهَب: بفتح الهاء، وهو المرء إذا أكثر الكلام، والمكثر من الكلام يكون دائما على غير صواب، ويقال أسهب الرجل في الكلام، إذا أكثر وأطال.[76] إلا أنّ الإكثار في هذه الحالة يكون من غير صواب، وقد يكثر في الكلام يكون دائما على غير صواب، وقد يكثر في الكلام إذا كان خرفا حال ذهنه، وهذا ما يؤكده الأصمعي بقوله: أسهب الرجل فهو مُسْهَب، بالفتح إذا خرف وأهتر[77] إذن، فبهذا الرسم لا يوصف به البليغ المحسن.

المُسْهِب: بكسر الهاء، تقال للبليغ المكثر من الصواب، ألا ترى بأنهم يقولون للجواد، الخيل مُسْهِب بالكسر لأنها بمعنى الإجادة والإحسان.[78]

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، يمكن اعتماد الطرح الثاني وهو: " المسهب" بضم الميم وكسر الهاء، وذلك استنادا إلى محتوى الكتاب، إذ احتوى على معلومات قيّمة حول جغرافية الأندلس وأخبارها، وفضائل أهله، فطارت شهرة الكتاب شرقا وغربا.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أثنى عليه كل من تعرّض لهذا الكتاب من طرف مؤرخين كان لهم باع في ميدان التأليف، من أمثال ابن سعيد وابن الخطيب، والمقري الذين استفادوا منه أيّما استفادة، وحتّى المحدثين ممن تعرّض بالنقد والتحليل لشخصية مؤلّف هذا الكتاب، فكلهم أثنوا على مؤلّفه، فثناء المُؤَلَّف من ثناء المُؤَلِّف.

إضافة إلى كل ما قيل، فإن كُتَّابَ العصور الوسطى كانوا ينسجون عناوين مؤلفاتهم على حسب ما يقتضيه السّجع، وبما يتوافق مع حركات الكلمة الأولى وما يقابلها في الثانية كما هو الشأن لكتاب الحجاري " المسهِب في أخبار المغرِب"، فكسر الهاء في المسهب يجب أن تتوافق مع كسر الراء في المغرب.

قيمة الكتاب: تظهر لنا قيمة المؤَلَّف من خلال ثناء العلماء عليه، فهذا ابن الخطيب الذي استحسنه قال: "وتواليفه بديعة... منها المسهب في غرائب المغرب."[78] وتبعه في ذلك المقري بقوله: "ولم يصنّف في الأندلس مثل كتابه." ثم يضيف قائلا: "فإنه أكثر فائدة مما في كتب التاريخ الأخرى."[79]

كما تكمن أهميته في أنه يحتوي على معلومات جغرافية لبعض المدن الأندلسية والتي زار بعضها، فيكون بذلك وصفه لها وصفا دقيقا، منها وصفه لقرطبة وريّة وشريش، ولا يكتفي بالوصف العام للأندلس ومدنها وخيراتها بل يتعداه إلى وصف القرى والمعاقل كما هو الشأن لكورة إشبيلية، فكان وصفه لها وصفا دقيقا، إضافة إلى تلك المعلومات المتعلقة بالفتح المبكر للأندلس، كفتح مُغِيث الرومي لقرطبة، زيادة على ذلك الكم الهائل من تراجم العلماء، وبخاصة الفقهاء منهم، إذ يترجم لهم ثقافيا، وبعدها يفيدنا ببعض الخُطَطِ التي تولوها.[80]

وللقيمة العلمية لهذا الكتاب فقد كان من أهم المصادر التي استقى المؤرخون معلوماتهم في جوانب عدّة، منهم بنو سعيد والمقري.

أما بنو سعيد، فقد أحاطوه بعناية فائقة، وكان على رأسهم عبد الملك بن سعيد الذي فضّله وذيّل عليه، وقام من بعده بنوه بتوسيعه في جوانب عدّة، وهذّبوه واختصروه حتى أصبح الكتاب معروف باسم "الـــمُغْرِب في حُلَى المـــغْرِب" وهذا ما يؤكده ابن سعيد بقوله: "وهو أصل هذا الكتاب"[81] يقصد بكلامه هذا، أن المسهب هو الأصل الذي اعتمد فيه بنو سعيد في تأليفهم لكتاب المغرب.

أما المقري، فقد استرشد به في تأليفه لكتاب نفح الطيب، وهذا ما يذهب بنا للقول أن كتاب المسهب بقي مستقلا ومتداولا إلى غاية عصر المقري.[82]

محتواه: ألّف الحجاري كتابه هذا وهو مقيم عند آل سعيد بالقلعة المنسوبة إليهم،[83] وقد صنّفه بعد الذخيرة[84] والقلائد[85] من أول ما عمّرت الأندلس إلى عصره، أي: الفتح الإسلامي لها إلى التاريخ الذي ألّفه فيه وهو سنة 530هـ /1135م، وهو يتكون من ستة أسفار[86] على حدّ قول المقري[87] أو ستة مجلدات[88] على حدّ تعبير ابن الخطيب.[89]

صدر كتابه هذا، بقوله: "الحمد للّه الذي جعل العباد من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد، والأسياف من الأغماد."[90]

لقد تحدّث فيه عن فضائل المغرب والأندلس، وساق فيه تراجم النابهين من أهله، مع إعطاء نماذج مما جادت به قريحتهم من الشعر وأخبار تاريخية تتخللها بعض المعلومات الجغرافية.[91] وبذلك يكون قد خرج عن مقصد الكتابين سالفي الذكر – الذخيرة والقلائد – وهذا ما يؤكده المقري، الذي قال: بأنه تعداهما إلى ذكر البلاد وخواصه مما يختص بعلم الجغرافية، وخلطه بالتاريخ وتفنن في الأدب."[92] وهذا ما يلخّصه لنا ابن سعيد أثناء تذييله على رسالة ابن حزم، فقال: "جمع زبد الأولين والآخرين."[93]

فهو بهذا المفهوم عبارة عن معجم لبلده الأندلس، وهذا ما يفهم من قول ابن سعيد حين ترجم لأبي محمد بن عبد اللّه بن العالم ابن أبي بكر بن طفيل، فقال: "منها تأليفه معجم بلده الأندلس على مترع الحجاري."[94]

يبدو أن الحجاري قد بذل في تأليفه لهذا الكتاب جهدا كبيرا، إذ كان يكتب للشعراء يطلب شيئا من إنتاجهم في هذا الميدان.[95] كما كان يتحمل عناء السفر[96] إلى بعض المدن ليستقي من هؤلاء ما جادت به قريحتهم في الأدب شعرا ونثرا، فمن أمثال أولئك الذين التقى بهم، نذكر

إبراهيم بن عبد اللّه المعروف بالنّوالة، والذي يصرّح بأنه أخذ من خزائن كتبه العظيمة، ومن أدباء كورة بلكونة التقى بشاعرها سعيد بن هشام بن دحون.[97]

آثاره الثقافية:

أ- في الأدب: في فن الترسّل: يتجلى نثره من خلال أوصاف من ذكرهم في كتابه، إذ كان يغلب عليه السّجع، فمن أمثلة ذلك: وصفه لبعض أعلام من ترجم لهم، ولنا في ذلك بعض النماذج، فلو ذكرناه كلها لكان لنا في ذلك غنية.

أبو عامر بن عقيد: قال: "ناظم ناثر غير خامل المكان، ولا مُنْكَرُ الإحسان."[98]

أحمد بن عبد الولي البني:[99] "من سوابق حلبة عصره، وغُرَرِ دهْره، خلع عذاره في الصَبَا مع غرامه جنوبا وصَبا."[100]

أبو القاسم بن فرج ذو الوزارتين، قال عنه: "... وأبو القاسم مُقُلَةُ إنسانه، وفارس ميدانه... ولذلك اشتمل عليه ابن القاسم المذكور، لحبّه في الشعر، ومعرفته به، مع ما فيه من الخلال الموجبة لعلو المنزلة..."[101]

في الشّعر: وما يدل على مكانته في النظم، فأحسن ما قرضه في الشعر، قوله:

ملك طفيلي السّما ح على الأقارِبِ والأَبَاعِدِ
مَا فَرَّجت أَبْوَابه إلاَّ تَفَرَّجَت الشَّدَائِدُ

وقوله في بني سعيد:

وَجَدنَا سَعِيدًا منجيًـــا خَيْر عصْبَة هُم فِي بَني أَزْمَانِهِمْ كَالمَوَاسِمِ
مشنفـــة أسْمَـــاعُهُـــم فَضَائِـــلَ مُسَوِّرَة أَيْمَانُهُم بِالصَوَارِمِ[102]

وفي وصف زيّه البدوي يقول: [من الوافر]

ومثلَنِي بدن فِيهِ خَمْرٌ يحقُ بِهَا ومَنْظَرُهَا ثَقِيلُ[103]

هذه نماذج من آثاره الأدبية من نثر وشعر، وهي أكثر من العد والحصر، مما يدل على تمكّنه في هذا الميدان، وهذا ما شهد له كتابه "المسهب" إلا أنه لم يقف عند هذا الحدّ، بل تعدّاها لتشمل التأريخ لبلده الأندلس ورجالها وفضائلها، ووصف جغرافيتها، فكلّ هذه الآثار هي بادية للعيان لكل من اطلع على هذا الأثر الثقافي، وهذا ما سنحاول أن نفرد له بعض الأمثلة من خلال هذه النماذج المنتقاة من كتابه هذا.

ب- في وصفه لجغرافية الأندلس: وصف قرطبة: "كانت قرطبة في الدولة المروانية قبّة الإسلام، ومجتمع أعلام الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية، وفيها تمخضت خلاصة القبائل المعدّية واليمانية، وإليها كانت الرّحلة في الرواية، إذ كانت مركز الكرماء، ومعدن العلماء وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد، ونهرها من أحسن الأنهار، مكتنف بديباج المروج مطرّز بالأزهار، تصدح في جنباته الأطيار، وتنعر النواعير ويبسم النوار، وقرطاها الزاهرة والزهراء، حاضرة الملك وأفقاه النعماء والسرّاء، وإن كان قد أخنى عليها الزمان، وغير بهطة أوجهها الحسان، فتلك عادته وسل الخوَرْنق والسدير وغُمدان، وقد أعذر بإنذاره إذ لم يزل ينادي بصروفه لا أمان لا أمان.[104]

وصف المرية: "وأما المرية فلها على غيرها من نظرائها أظهر مزيّة، بنهرها الفضيّ، وبحرها الزبرجدي وساحلها التبري، وحصاها المجزّع، ومنظرها المرصّع، وأسوارها العالية الرّاسخة، وقلعتها المنيعة الرفيعة الشامخة، وبنى فيها خيران العامري[105] قلعته العظيمة المنسوبة إليه، ومما تفضل به اعتدال الهواء وحسن مزاج أهلها وطيب أخلاقهم، ولطف أذهانهم.[106]

وصف شاطبة: "مدينة عظيمة، مانعة كريمة تعز بامتناع معقلها نفوس أهلها، وتخرج من بطحائها في أحسن متأمل، وهي من التي نشزت على بلنسية في مدة ملوك الطوائف. ومن متفرّجاتها البطحاء، والغدير، والعين الكبيرة، والعيون.[107]

هذه نماذج من وصف الحجاري لبعض كور الأندلس، فهو لا يكتفي بوصفها من الناحية الجغرافية فقط، مثل وصف مروجها وما تزخر به من خيرات الأرض، واعتدال هوائها، وعيونها، بل يتعدّاه إلى ذكر نبذ تاريخية عنها، كذكر أنها كانت سرير الملك كما هو الشـــأن لقرطبة، أو يخلّد بعض آثارها العمرانية كبناء القلاع والأسوار وهذا ينطبق على المرية، وفي أحايين أخرى يحدّد بعض العهود التي مرّت بها الأندلس، وهذا ما ورد حين رام وصف شاطبة، كذكره لملوك الطوائف. وهذا يمكن تطبيقه على باقي المدن التي وصفها.

وفي أحايين أخرى لا يقتصر وصفه على الكُوَر الأندلسية، بل يذهب إلى وصف بعض قراها، فمن أمثلة ذلك:

وصف القرى: قرية منيش من قرى إشبيلية.[108]

قرية رمادة من قرى شلب.[109]

وصف المعاقل: معقل رندة الذي تعمم بالسّحاب، وتوشّح بالأنهار العذاب.[110]
معقل شقورة، هي إحدى معاقل الأندلس التي يلعب البصر في استقصاء سمكها ويرتد حسيرا عن آفاق ملكها، لا يأخذها قتال، ولا يبالي من اعتصم بها إلا بالآجال.[111]
قلعة بني سعيد: عقاب الأندلس الآخذ بأزرار السّماء. عن غرر المجد والسّناء.[112]
وصف الحصون: حصن البونت: معقل من المعاقل الرّفيعة، والشّواهق المنيعة.[113]
حصن يانبه: حصن بهج المنظر، ذو فواكه ومياه.[114]

ج- في التأريخ لبلاده الأندلس: أول من دخل الأندلس: "أول من دخل جزيرة الأندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربري مولى موسى بن نصير الذي تنسب إليه جزيرة طريف التي على المجاز، غزاها لمعونة صاحب سبتة يليان النّصراني لحقده على لذريق صاحب الأندلس، وكان في مائة فارس وأربع مائة راجل جاز البحر في أربعة مراكب، في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين، وانصرف بغنيمة جليلة، فعقد موسى بن نُصَيْر صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الأندلس، ووجهه مع يوليان صاحب سبتة.[115]
ذكر انتصارات موسى: "إن موسى بن نصير نصره اللّه نصرا ما عليه مزيد، وأجفلت ملوك النّصارى بين يديه، حتّى خرج على باب الأندلس الذي في الجبل على الحاجز بينها وبين الأرض الكبيرة، فاجتمعت الإفرنج إلى ملكها الأعظم قارله، وهذه سمة لملكهم، فقالت له: ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب، كما نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس، حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الأندلس وعظيم ما فيها من العدّة والعدد بجمعهم القليل، وقلّة عدّتهم، وكونهم لا دروع لهم، فقال لهم ما معناه: الرّأي عندي أن لا تعترضوهم في خرجتهم هذه، فإنهم كالسّيل يحمل من يصادره، وهم في إقبال أمرهم، ولهم نيات تُغْنِي عن كثرة العدد، وقلوب تُغْنِي عن حصانة الدّروع، ولكن أمْهِلُوهُم حتّى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن، ويتنافسوا في الرّياسة، ويستعينوا بعضهم ببعض، فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر...[116]

د- في تراجم الرّجال: لقد شمل كتابه هذا على عدد من تراجم الأمراء وأولوا النباهة والأدب، وسنتطرق في هذه العجالة على بعض هؤلاء، حتى نتمكن من الاطلاع على إنتاجه في هذا الميدان.

ففي تراجم الأمراء: ذكره لعدد من حكّام الأندلس منهم:

وصفه لعبد الرّحمن بن معاوية: فلمّا ذكره الحجاري بأنه أعور: قال:"ما أنشد فيه إلا قول أمرئ القيس"

لَكِنْ عُوَيرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ لاَ عَوَرٌ شَانَهُ وَلاَ قِصَرُ[117]

وصفه لعبد الرّحمن بن الحَكَم وذكر نتف من أخباره. "جواد بني أميّة عبد الرّحمن... كتب يوما إلى نديمه ومنجّمه عبد اللّه بن الشّمر:

مَا تَرَاهُ فِي اصْطِباحٍ وعُقُودُ القَطْرِ تُنْشَرْ ؟

إلى قوله: لاَ تَكُنْ مِهْمَالَةَ وَاسْـ بقْ فَمَا فِي البُطْءِ تُعْذَرُ[118]

ذكر سبب تسمية عبد الرّحمن الناصر بـ: أمير المؤمنين. "إنما تسمّى بأمير المؤمنين حين بلغه أن المقتدر خُطِبَ له بالخلافة وهو دون البلوغ".[119]

وفي وصفه كذلك يقول: "وربما كان أجود من جميع من ملك من بني مروان."[120]

ذكره لخبر المنصور بن أبي عامر: "أصله من قرية تركش... رحل إلى قرطبة، وتأدّب بها، ثم اقتعد دكانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يَعِنُّ له كتب من الخدم والمرافقين للسّلطان، على أن طلبت السيّدة صُبْح أم المؤيّد من يكتب عنها، فعرّفها به من كان يأنس إليه بالجلوس من فتيان القصر، فترقّى إلى أن كتب عنها، فاستحسنته ونبّهت عليه الحَكَم، ورغبت في تشريفه بالخدمة."[121]

هذه نماذج مما ورد في مسهب الحجاري من تراجم لأمراء بني أميّة وحكّامها، إلا أن قلمه لم ينته عند هذا الحد، بل تعدّاه إلى الترجمة لبعض رجالات العلم والمعرفة. وبما أن كتاب الحجاري قد اختصّ مؤلّفه بذكر طبقات الأدباء، فسنركّز على هذا الميدان.

هـ- في تراجم الأدباء واللّغويين: لم يكتف بالترجمة لهؤلاء بل أفادنا ببعض ما أنتجته قريحتهم، وبخاصّة إنتاجهم الشّعري وهذا ما يتضح لنا جليّا من خلال هذه النّماذج المختارة.

ففي تراجم الشّعراء: امتلأ كتابه بعدة نماذج نخصّ بالذكر منهم أولئك الشّعراء الذين طارت شهرتهم شرقا وغربا، فمن هؤلاء: أبو الحسن علي بن حفص الجزيري: وهو الذي طلب منه الحجاري أن ينشده شيئا من شعره، فكان ردّ الجزيري شعرا أقرضه في غلام لقيه بالجزيرة قد

كدر رونق حسنه السّفر، وأثّر في وجهه كآثار الكلف في القمر، فصافحه ثم قال فيه [من الكامل]

بأبِي الذِي صَافَحْتُهُ فَتَوَرَّدَتْ وَجَنَاتُه وأنَاءَ نَحْوِي قَدُّهُ
قَمَرٌ بَدَا كَلَفُ السُّرَى في خَدِّه لَمَا تَوَالَى فِي التَرَحُّلِ جَهْدُهُ
لَكِنْ مَعَالِمُ حُسْنِهِ تَمَّتْ كَمَا قَدْ تَمَّ فِي صَدَإِ الحُسَامِ فِرِنْدُهُ.[122]

بشر بن حبيب بن الوليد المعروف بدحون: وصفه الحجاري بالفروسية والأخلاق الملوكية والأدب، وأنشد له قوله:

قُلْ لِبَرْقٍ أَضَاءَ مِنْ نَحْوِ نَجْدِ كَيْفَ بِاللَّهِ سَاكِنُ الجَزْعِ بَعْدِي
أَتُرَاهُمْ عَلَى العُهُودِ أَقَامُوا أَمْ تُرَى البينَ قَدْ أَخَلَّ بعَهْدِي
مَنْ يَكُن فِي الدُنُوِّ غَيْرَ وَفِيٍّ كَيْفَ يُرْجَى وَفَاؤُهُ فِي البُعْدِ[123]

أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المشهور بالأبيض: قال الحجاري في تحليته: "شاعر مشهور وشّاح، حسن التصرّف هجّاء". فمن شعره في هذا الغرض قصيدة يهجو فيها صاحب قرطبة الزبير الملثم، يقول فيها:

عَكَفَ الزُبَيْرُ عَلَى الضَلاَلَةِ جَاهِدًا وَوَزِيرهُ الَمشْهُور كَلْب النَّارِ
مَا زَالَ يَأخُذُ سَجْدَة في سَجْدَةٍ بيْنَ الكُئُوسِ وَنَغْمَة الأوْتَارِ
فَإِذَا اعْتَرَاهُ السَّهْوُ سَبَّحَ خَلْفَهُ صَوْتُ القِيَانِ وَرَنَّة المِزْمَارِ[124]

وفي تراجم اللغويين والبلغاء: فقد تعرّض لبعض من خاض في هذا الميدان نخصّ بالذكر منهم: محمد بن سعيد الزجّالي: أخبر الحجاري بأنه كان يلقّب بالأُصْمُعِي لذكائه وحفظه، فكان أوّل من استكتبه عبد الرّحمن الأوسط.[125]

أبو عبد اللّه محمّد بن معمر اللّغوي المعروف بابن أخت غانم: ذكره بقوله: أنه متفنن في علوم شتّى، إلاّ أنّ الأغلب عليه علم اللّغة، وفيه أكثر تواليفه.[126]

أبو عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه بن ثعلبة الخُشَنِي: ذكر في تحليته أنه: "كان زاهدا لغويا شاعرا".[127]

و- تراجم لعلماء خاضوا في ميادين معرفية أخرى: لم يكتف الحجاري بالترجمة لأولي النّباهة في الأدب – باعتبار كتابه "المسهب" قد خصّه للأدباء- بل تعدّاه إلى ميادين معرفية

أخرى، ولنا في هذه النماذج التي وقع عليها اختيارنا خير دليل على اتساع أفق الحجاري العلمية، فمن هذه النماذج نذكر منهم:

عبد الملك بن زيادة اللّه الطُبْنِي الذي كان إماما في علم الحديث[128]، وأبو العباس أحمد بن قاسم الذي جعله الحجاري من رؤساء المحدثين، ورؤوس المتفنين، مشاركا في العلوم القديمة والحديثة.[129] وأبو عبد الله محمّد بن قادم القرطبي الذي جعله من أطباء قرطبة المشهورين في الدولة المروانية[130]. وغانم بن الأسقطير الطلمنكي، قال عنه الحجاري: أنّه مال إلى العلم الرّياضي وشُغِفَ بالكيمياء، وله شعر فيها،[131] وأبو عبد اللّه محمّد بن سليمان بن الحنّاط، قال عنه: "نشأ نشأة أعانته على أنْ بلغ غاية من العلم القديم والعلم الحديث... وكان الغالب عليه المنطق حتّى أتهم في دينه".[132] وأبو عبد اللّه محمّد بن أحمد بن الحدّاد، الذي وسمه بالتفنّن في العلوم ولاسيما القديمة.[133]

الخاتمة: لا يخامرنا الشّك أن هذه النّماذج المنتقاة من ثقافة الحجاري تَنِمُّ عن مكانته العلمية وقيمة كتابه "المسهب" الذي طارت شهرته شرقا وغربا، إذ لا يمكن الإتيان على كل ما جادت به قريحته، فلو قمنا بذلك لكان لنا في ذلك غُنْيَة، فهذه المكانة التي حضي بها بسبب ذلك الوسط العلمي الذي تربى فيه، إذ تعتبر أسرته من البيوتات الأدبية التي اشتهرت بها الأندلس، فتركت هذه الأخيرة آثارا لا زالت تشهد به عليها كتب التراجم، وبخاصة كتاب " المغرب في حلى المغرب" لمؤلّفه: ابن سعيد المغربي.

وعلى ضوء ما تقدّم ذكره، نخرج بالنتائج التالية:

إن الجوّ العلمي الذي تربى فيه الحجاري سمح له أن يكون من أدباء عصره الذين طارت شهرتهم شرقا وغربا، فكانت له فيه إسهامات جليلة.

لم تقتصر إسهامات الحجاري على قرض الشّعر، بل تعدّاه إلى التأليف فيه، فجادت قريحته بمؤلف لا زالت آثاره محفوظة في مضان بعض المصادر التي نقلت عنه هذه المادة الأدبية.

كان خروج آل الحجاري من موطنهم الأصلي نقلة نوعية في مسيرة الأسرة الثقافية، والمتمثلة في أحد أفرادها، وهو أبو محمّد عبد اللّه بن إبراهيم الحجاري، وقد توّج هذا الخروج بأهم مؤلّف، ألا وهو كتاب "المسهب".

يعتبر كتاب "المسهب" ذا قيمة علمية بما احتواه من تراجم عديدة لأدباء الأندلس، والذين لا يمكن الاستغناء عنهم لكل من رام الترجمة لهم ثقافيا، والتعرّف على شعرائه وما ألّفوه في هذا الميدان.

يعتبر كتاب "المسهب" ذا مصداقية علمية، بسبب أن مؤلّفه قد جال وصال في ربوع بعض مدن الأندلس للتعرّف على ما أنتجته قريحة أدباء عصره في الأدب بشعره ونثره.

لم يقتصر الحجاري على التأليف في تراجم الأدباء، بل شمل كذلك التأليف في الجغرافيا، إذ كان يقدم في كل ترجمة بوصف عام للمدينة التي ينتمي إليها هذا الشاعر أو ذاك، فيكون بذلك قد سلك نفس المنهجية التي سلكها سلفه أحمد بن محمّد الرّازي ومن جاءوا بعده.

ومما يدل على اتساع أفقه المعرفية، أنه تعرّض في مضان تراجم بعض الشّعراء إلى إسهاماتهم في ميادين معرفية أخرى، كالطب والرياضيات، وغيرها من العلوم.

الهوامش:

1- الصنهاجي: نسبة إلى صنهاجة قبيلة من حمير. السيوطي عبد الرّحمن – لب اللّباب في تهذيب الأنساب- تحقيق تحت إشراف مكتب البحوث والدراسات- دار الفكر- بيروت- ط1- 1422هـ/ 2002م- ص 255. ويذكرها السمعاني: بضم الصاد المهملة وكسرها، والنون الساكنة، والهاء المفتوحة، وفي آخرها الجيم. وصنهاجة وكتامة قبيلتان من حمير، وهم من البربر، وقيل: بربر: من العمالیق إلا صنهاجة وكتامة، فإنهما من حمير. السمعاني عبد الكريم: الأنساب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ/ 1998م- ص 566..

2- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب- حققه وعلّق عليه شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ط4- 1955م- ج2- ص 35- ابن الخطيب الغرناطي: الإحاطة في أخبار غرناطة- شرحه وضبطه وقدم له يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1424هـ/ 2003م- مج3- ص 328.

3- وادي الحجارة: وتعرف بمدينة الفرج، وهي بين الجوف وشرق قرطبة، كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع والغلات، وبغربيها نهر صغير تحيط به البساتين. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- ط2- ص606.

4- النخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي: نفله عن الإسبانية حسين مؤنس- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- دت- ص.272

5- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي- الأدب في المغرب والأندلس- عصر المرابطين والموحدين- دار العلم للملايين- بيروت- ط3- 1997م- ج5- ص.314

6- البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين- أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون- دار الفكر- بيروت- 1402هـ/1982م- مج5- ص 457. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين- اعتنى به وجمعه وأخرجه- مكتب تحقيق التراث- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط1- 1414هـ/1993م- ج2-ص.220

7- بالنثيا: نفسه- ص 272.

8- عمر فروخ: نفسه- ج5- ص 315.

9- ابن الخطيب: نفسه- هامش رقم1- ص 328.

10- البغدادي: نفسه- مج5- ص 457.

11- رضا كحالة: نفسه- ج2- ص 220.

12- ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص 329. وسنتعرض إلى رحلاته هذه في موضعه.

13- عمر فروخ: نفسه- ط5- ص 314.

14- ابن قزمان: هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قُزْمان المكنى بأبي بكر والمعروف بالأصغر تمييزا لجده الذي حمل نفس الكنية، ولد سنة 470هـ/ 1078م بقرطبة. وطبعت حياته باللّهو والمجون والخلاعة. كان أول أمره مشتغلا بالنظم المـُغْرَب، فرأى نفسه أنه قصّر عن معاصريه كابن خفاجة وأمثاله، فعدل عن ذلك إلى الزجل (الشعر العامي) فصار أمام أهل الزجل المنظوم. توفي بقرطبة في رمضان سنة

555هـ/1160م. ابن سعيد: المغرب- ج2- ص101. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي- دار الفكر- بيروت- ط1- 1419ه/ 1998م- ج4- ص 395- ج5- ص 213.

15- لم يذكر الزركلي مثل ذلك، وإنما ذكر سنة 854هـ وهو خطأ مطبعي إذ قابلت هذه السنة بسنة الميلاد وهي سنة 1188م والتي تقابلها سنة 584هـ وهي السنة المعتمدة عند كل من البغدادي وعمر رضا كحالة، ولم يذكر الزركلي السنة التي اعتمدها عمر فروخ وهي سنة 550هـ، وقد يكون ذلك سهو من هذا الأخير. ينظر الزركلي: الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- ط17- 2007م- ج4- ص 63.

16- عمر فروخ: المرجع نفسه- ج5- هامش رقم 1- ص 315.

17- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 33.

18- لأجل: عند ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 34.

19- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص34. وينظر أشعاره عند المقري: المصدر السابق- ج4- صص 219- 220.

20- دانية: مدينة بالأندلس تقع على البحر، وبها تنشأ معظم السفن، ومنها تخرج إلى أقصى المشرق، وهي متصلة العمارات تنتج التين والكروم. الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس- مقتبس من كتاب نزهة المشتاق- تحقيق وتقديم وتعليق اسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1983م- ص 282.

21- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 34.

22- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 34.

23- نفسه- ج2- ص 356.

* يقصد به عمّه أبا محمد عبد اللّه، وأن معظم الحديث الذي خصّه المقري يتناول سؤال الحجاري عمَّه عن أفضل من لقي من الأجواد. ينظر المقري: نفسه- صص 339- 342.

24- المقري: نفسه- ج4- ص 341.

25- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة- مج3- ص 330.

26- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون- دار الفكر- بيروت- دت- مج1- ص 646.

27- البغدادي: هدية العارفين- مج5- ص 457.

28- عمر رضا كحالة: المرجع السابق- ج2- ص 220.

29- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء- حققه وعلّق على حواشيه حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1985م- ج1- ص 250.

30- إلى الخمر عند المقري: نفسه- ج4- صص341- 342.

31- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 34.

32- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 356.

33- الأديم: نقول: ظلّ أديم النهار صائما، وأديم اللّيل قائما، أي: كلّه، ومنه فلان مؤدم مبشر للين في خشونة. الزمخشري: أساس البلاغة- دار المعرفة – بيروت – د ت - ص4.

34- المقري: نفسه- ط4- ص 342.

35- هو يحيى بن اسماعيل بن عبد الرّحمن بن عامر بن ذي النون الهواري الأندلسي المكنى بأبي زكريا، وهو من ملوك الطوائف حكم طليطلة بعد وفاة أبيه سنة 435هـ/ 1043م وسار على سيرته في حكم بلاده فدانت به البلاد وضخم ملكه، وقد دبّ خلاف بينه وبين سليمان بن محمد بن هود صاحب سرقسطة على مدينة وادي الحجارة وانتهى الأمر بالطرفين للتعاون مع النصارى واستمرت الأوضاع على هذه الحال إلى غاية وفاة ابن هود سنة 438هـ/1046م. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ومراجعة ج.س كولان و إ- ليفي بروفنسال- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2009م- مج3- ص 277 وما يليها- ابن الخطيب: تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام- تحقيق وتعليق إ- ليفي بروفنسال- دار المكشوف- بيروت- ط2- 1956م-ص177 وما يليها، وينظر عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي- من الفتح حتى سقوط غرناطة- 92هـ- 897هـ/ 711م- 1497م- دار القلم- دمشق- ط5- 1418هـ/ 1997م- صص 331-333. الزركلي: المرجع نفسه- ط8- ص 138. وبني ذي النون هؤلاء، هم قبيل من البربر الذين خدموا الدولة العامرية وجدّهم هو الذي حمل الاسم، وأصله- زنون- فتصحّف بمرور الوقت. ابن عذاري: نفسه- ط3- ص276.

36- ابن الخطيب: الإحاطة... مج3- ص 328- 329.

37- سرقسطة: كورة تقع شرق قرطبة، اختصّت بطيب أرضها وحسن بقعتها، ولكورة سرقسطة مدن ومعاقل، منها: مدينة روطة. وأفضل ثمر، تفضل الثمرات في الطيب، بنيانها على نهر إبره. ابن غالب الأندلسي: المصدر السابق- ص 287- Provençal : la description de l'Espagne d'Ahmed Al-Razzi p78.

38- عمر فروخ: نفسه- ج5- ص 314.

39- بلنسية: ينظر عنها الحميري: نفسه- ص 97 وما يليها.

40- شلب: بكسر أوله وقيل: بفتحه وسكون ثانيه، مدينة بالأندلس تقع غربي قرطبة، بينها وبين باجة ثلاثة أيام. البغدادي: مراصد الاطلاع عن أسماء الأماكن والبقاع- تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي- دار الجيل- بيروت-ط1- 1412هـ/ 1992م- مج2- ص 808.

41-هو من بيت بني سعيد أصحاب قلعة بني يحصب، صادف الفتنة على الملثمين، وعند تولي عبد المؤمن بن علي خطب له فيها، وسجله عبد المؤمن بمراكش، ثم أطلق سراحه، فارتقت منزلته عنده. ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 161- وينظر عن بني سعيد هؤلاء، بالنشيا: نفسه- ص 242 وما يليها.

42- المقري: نفسه- ج5- صص 63- 64.

43- قلعة بني سعيد، كانت تعرف قبل ذلك بقلعة أسطلير، وهو عين لها، وقال الملاحي في تاريخه: إنها تعرف بقلعة يحصب قَبِيلٌ من اليمن نزل بها عند فتح الأندلس. المقري: نفسه- ج2- ص448.

44- السّحاءة: هي القشرة أو الجلدة، وأراد هنا الورقة التي يكتب عليها. نقول: أخذت من القرطاس سحاءة، وهو ما يُقْشَر عن ظاهره لِيُشَدَّ به الكتاب، وسحوتُ القرطاس والجلد: أي قشرتُ منه شيئا. الزمخشري: المصدر السابق- ص 205. 45- اكتفى ابن سعيد بذكر هذا البيت فقط. نفسه- ج2- ص 161.

46- المقري: نفسه- ج5- ص 64.

47- ابن الخطيب: نفسه- مج 3- ص329.

48- المقري: نفسه- ج5- ص 229.

49- المقري: نفسه- ج5- ص 229.

50- روطة: بضم أوله وسكون ثانيه، وطاء مهملة. حصن من أعمال سرقسطة: البغدادي: مراصد الاطلاع- مج2- ص 641.

51- هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن هود، سيف الدولة والمستنصر بالله والمستعين بالله، آخر حكّام بني هود قتل سنة 540هـ/ 1145م. ابن الخطيب: تاريخ إسبانية الاسلامية أو كتاب أعمال الأعلام– صص175-176- الحجّي: التاريخ الأندلسي- ص359

52- بن الخطيب: الإحاطة- مج3- ص 330- ويذكر بالنشيا: أن أهل نبره هم الذين أسروه. المرجع نفسه- ص 272.

53- بسقاية (Viscaya) وهي إحدى ولايات مملكة نبره. بالنشيا: نفسه – ص 272.

54- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة- مج3- صص 329- 330.

55- ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص330.

56- يطلق عليها العامة – بيغه- كما وردت كذلك بهذا الاسم – بيغة- المقري: نفسه- ج1- ص 132.- ج2- ص 333.

57- عمر فروخ: ج5- ص 315.

58- لوشة: تقع بين أنهار وظلال وأشجار، تقع على نهر شنيل. قال عنها الحجاري: "لو كان للدنيا عروس من أرضها لكان ذلك الموضع." ابن سعيد: نفسه- ص 157.

59- لورقة: وهي مدينة تقع على ظهر جبل مما أكسبها حصانة، بها عدّة أسواق منها: سوق الزهادرة وسوق العطر، كما تتوفر على معادن كثيرة تصدّر خارجها. الإدريسي: نفسه- ص 288- وقد قال ابن الخطيب في تحليتها: "مرأى بهيج، ومنظر بروق وبهيج، ونهر سيال، وغصن ميّاد، وجنّات وعيون...وصيد ووقود، وأعناب كما زانت اللّبات عقود...إلى معدن الملح، ومعصر الزيت..." ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار- تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة- مكتبة الثقافة الدينية- 1423هـ/ 2002م- صص 125- 126.

60- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 158- 275- 160- ابن الخطيب: نفسه- مج3-ص 329.

61- ابن سعيد: نفسه – ج1- ص 222.

62- ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص 329.

63- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 35.

64- المقري: نفسه- ط5- ص 63.

65- الهاء تعود على المكان الذي ألّف فيه الكتاب، وهي قلعة بني سعيد.

66- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 35- ص 160.

67-ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص 330- المقري: نفسه- ج1- ص 135- ج2- ص 199- - ج3- ص 295.

68- المقري: نفسه- ج2- ص 92- ج5- ص 24.

69- المقري: نفسه- ج2- ص 447.

70- نفسه: ج4- ص 25.

71- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 35.
72- نفسه: ج2- ص 162.
73- ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص 330.
74- المقري: نفسه- ج5- ص 24.
75- ينظر عنه المقري: نفسه – ج4- ص 25- ج5- ص 22.
76- الزمخشري: نفسه- ص 222.
77- أهتر: من فعل هتر، نقول: هو مهتر ومهترة، وأهتر أي: خرف. وتهاتر الرجلان، إذا ادعى كل واحد منهما الكذب على الآخر. الزمخشري: نفسه- ص 479- ومنه الحديث الشّريف "المستَبَان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان وما قالا فهو على البادئ ما لم يعتّد الآخر." وقد ورد عند مسلم على هذا النحو: "المُسْتَبَانِ مَا قَالاَ. فَعَلَى البَادِئ، مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ". مسلم بن الحجّاج النيسابوري– صحيح مسلم المسمّى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم– باب النهي عن السّباب- رقّم كتبه وأبوابه وفق للمعجم المفهرس وصنع فهارسه محمّد بن نزار تميم و هيثم بن نزار تميم– دار الأرقم– بيروت– ط1- 1419هـ/1999م– صص1247– 1248.
78- المقري: نفسه – ج5- صص 24- 25..
79- المقري: نفسه- ج4- ص 25- وينظر عمر فروخ: نفسه- ج5- ص 323.
80- ينظر على سبيل المثال لا الحصر ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 313.
81- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 35.
82- ينظر عمر فروخ: نفسه- ص 323- بالنثيا: نفسه- ص 373.
83- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 160.
84- العنوان الكامل هو: "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لمؤلفه: علي بن بسّام الشنتريني (460هـ- 542هـ/ 1067- 1147م- 1148م) ينظر في ترجمته ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرف الأديب- حققه عمر فاروق الطباع- مؤسسة المعارف- بيروت- ط1- 1420هـ- 1999م- مج4- ص 502- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 417- 418- نفسه: رايات المبرزين- وغايات المميزين- حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية- طلاس دار- دمشق- ط1- 1987م- ص 62- 63.
85- العنوان الكامل هو: "قلائد العقيان ومحاسن الأعيان" لمؤلفه: الفتح بن عبيد اللّه القيسي الإشبيلي المكنى أبا نصر والشهير بابن خاقان (تـ: 529هـ/ 1134م) وينظر في ترجمته: ابن الأبار القضاعي: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي- روخس- مجريط- إسبانيا- 1885م- ص 300- 301- ياقوت الحموي: نفسه- مج6- ص 137 وما يليها.
86- يقصد بالسفر، الكتاب وسمي كذلك لأنه يبين الشيء ويوضحه. وتتراوح عدد أوراق السفر بين 150ورقة و200 ورقة، وقال البطليوسي: لا يقال سفر إلا لمن كان عليه جلد. أحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي- قاموس كوديكولوجي- الخزانة الحسنية- الرباط- ط3- 2005م- ص 200.
87- المقري: نفسه- ج4- ص 25.
88- يقصد بالمجلّد: الوعاء المتكوّن من 11 جزءا أو 10 أجزاء، والمجلّدة هي الجزء من الكتاب، وكان في القديم يقصد به الكراسة التي تضم 10 ورقات. أحمد شوقي بنين: نفس المرجع- ص 315.
89- ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص 330.
90- ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص 330.
91- بالنثيا: نفسه- ص 273.
92- المقري: نفسه- ج4- ص 25.
93- نفسه: ج4- ص 26.
94- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 85.
95- ابن سعيد: نفسه – ج2- ص 158.
96- من المدن التي مرّ بها مدينة "لورة". ابن سعيد: نفسه – ج2- ص 275.
97- ينظر ابن سعيد: نفسه – ج1- 222.
98- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 233,
99- البنيني: عند السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة- تحقيق محمد عبد الرّحيم- دار الفكر- بيروت- ط1- 1425هـ- 1426هـ/2005م- ص278- البتي: عند ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة- تحقيق عبد السلام هرّاس- دار الفكر- بيروت- 1415هـ/ 1995م- ج1- ص 30.
100- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 357.

101- نفسه: ج2- ص 305.
102- ابن سعيد: نفسه – ج2- ص 36.
103- ابن الخطيب: نفسه- مج3- ص 329.
104- المقري: نفسه- ج1- صص 135- 136.
105- ينظر عن أخباره ابن الخطيب: تاريخ اسبانيا الإسلامية من كتاب أعمال الأعلام- ص 210 وما يليها.
106- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 193.
107- نفسه: ج2- ص 380.
108- نفسه- ج1- ص 289.
109- نفسه- ج1- ص 392.
110- نفسه: ج1- ص 334.
111- ابن سعيد: نفسه- ج2- ص 65.
112- نفسه: ج2- ص 160.
113- نفسه: ج2- ص 395.
114- نفسه: ج2- ص 393.
115- المقري: نفسه – ج1- ص 187.
116- المقري: نفسه – ج1- ص 219.
117- المقري: نفسه- ج1- ص 261.
118- ابن سعيد: نفسه- ج1- صص 50- 51.
119- ابن سعيد: نفسه- ج1- ص 182.
120- ابن سعيد: نفسه- ج1- ص 184.
121- المقري: نفسه- ج1- ص 310.
122- المقري: نفسه – ج5- ص 16.
123- ابن سعيد: نفسه – ج1- ص 62.
124- ابن سعيد: نفسه – ج2- ص ص 127- 128.
125- ابن سعيد: نفسه – ج1- ص 330.
126- ابن سعيد: نفسه – ج1- ص 433.
127- ابن سعيد: نفسه – ج2- ص 54.
128- ابن سعيد: نفسه – ج1- ص 93.
129- نفسه: ج1- ص 109.
130- نفسه: ج1- ص 128.
131- نفسه: ج2- ص 42.
132- نفسه: ج1- ص 121.
133- نفسه: ج2- ص 143.